

الاغتراب الثقافى لدى الشباب العربى

(المفهوم، الأبعاد، الأنواع، الأسباب)

Cultural alienation among Arab youth

(Concept, dimensions, types, causes)

<p>د.منصورى سميرة أستاذ محاضر جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة samiramansouri1975@gmail.com</p>	<p>بوطورة حنان طالبة دكتوراه جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة hb77236@gmail.com</p>
---	---

الملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على أحد أهم الظواهر الاجتماعية التي صارت تهدد تماسك المجتمعات العربية وتؤثر سلباً على أي خطوات جدية نحو تحقيق التنمية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، هي ظاهرة الاغتراب الثقافى لدى الشباب العربى وذلك بتسليط الضوء على مفهوم هذه الظاهرة وأبعادها التي تتجلى من خلالها ضمن الواقع الاجتماعى بالمجتمعات العربية وكذا أنواعها مع محاولة الكشف و التعمق في فهم أهم أسباب هذه الظاهرة، حيث أن انتشار مظاهر كالتماثل حول الذات و اللامعيارية واللامبالاة بقضايا المجتمع بين فئة الشباب العربى أمر يهدد أمن واستقرار المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، الاغتراب الثقافى، الشباب العربى.

Abstract:

The present study aims to identify one of the most important social phenomena that threaten the cohesion of Arab societies and negatively affect any serious steps towards achieving development in various areas of social life, namely the phenomenon of cultural alienation among Arab youth by highlighting the concept of this phenomenon and its dimensions Through which the social reality in the Arab societies as well as their types with an attempt to uncover and deepen the understanding of the most important causes of this phenomenon, as the spread of manifestations such as self-centered and non-normative and indifference to the issues of society among the Arab youth is threatening the security and stability of the Collecting.

Keywords: culture, cultural alienation, Arab youth.

مقدمة:

تعتبر الثقافة عملية اجتماعية صنعها عقل الإنسان ويده بالتفاعل بينه وبين غيره من بني جنسه ليشبع احتياجاته الأساسية في الحياة ، وتتكون الثقافة من عناصر جوهرية تشكل خصوصيتها التي ينطبع بها عالم الأفكار والعمل للأشخاص الذين ينتمون لها، كما أنها تملك من العناصر ما يضمن لها مرونة تمكها من استيعاب المتغيرات الجديدة ، ويعد التغيير الثقافى من أبطأ أنواع التغيير خاصة ما يتعلق بالبناء الفكرى ، وهذا ما يساعد على استيعاب العناصر الجديدة التي تدخل الثقافة.

ونظرا لكون الثقافة على درجة كبيرة من الأهمية في تشكيل الواقع الاجتماعى لأي مجتمع ، حيث ذهب المفكر مالك بن نبي إلى أن لكل مجتمع عالمه الثقافى بغض النظر عن مستوى تقدمه، ينتج هذا العالم عن التفاعل والنشاط المشترك للمجتمع الذي تحركه بواعث معنوية وأخرى مادية ويشترك في بناء هذا العالم الثقافى عوالم ثلاث عالم الأشياء المادية، عالم الأشخاص وعالم الأفكار(مالك بن نبي، مشكلة تبسيط الأفكار في العالم الإسلامى ، 1997م، ص16)، فان التغيير الذى يمس بعناصرها القاعدية إذا لم يكن هناك قدرا كافيا من الوقت ليتمكن البناء الاجتماعى من استيعابه يمكن أن يوجد ارباكا كبيرا قد يسبب العديد من الأمراض والمشكلات الاجتماعى بالمجتمع .

وهذا ما نلاحظه اليوم في العديد من الثقافات بالعالم بفعل التغيير الثقافى السريع الذى جاءت به قيم الحدائة الغربية والذى بفعله صارت لبعض القيم صفة العالمى وأصبح لها اعتبارات معيارية ووظيفية داخل الفكر الإنسانى وهي قيم المادة والسلطة ، بينما تراجعت مجموعة أخرى من القيم الروحية ولم يعد لها داخل الفكر الإنسانى سوى وجود بنائى إن لم يغيب بالملق ، وبفعل ذلك تزايدت الأزمات النفسى والاجتماعى للإنسان المعاصر خاصة بالدول العربية المسلمة التى اخذت بمنطلقات الحدائة للانتقال من من الطابع التقليدى الى الطابع الحدائى، ويعد الاغتراب احد تجلياتها فهو اليوم أزمة تحاصر الحياة الاجتماعى المعاصرة بالغرب وتوجد معها كثير من المشكلات الأخرى كالاكتئاب، العنف والجريمة.

أما عن الدول العربية المسلمة التى أخذت بتصورات الحدائة دون النظر في الفروق الجوهرية بين بعض العناصر القاعدية للثقافة التى أنتجتها وبين منظومتها القيمية الأساسية ، فجعلت من كلتا المنظومتين الغربية ومنظومتها الأصلية والتي تقوم في كثير من تفاصيلها على النقيض من نظيرتها الغربية هدفا منشودا وسبيلا لاختيار الوسائل اللازمة لتحقيق الأهداف الاقتصادية أو الاجتماعى أو الثقافى، فقد أوجدت ضمن بنائها الاجتماعى أزمة صراع بين مرجعيات ثقافى متباينة فيما بينها ، انعكست بالسلب على كافة مظاهر الحياة الاجتماعى الثقافى في هذه الدول النامية وأوجدت أزمة الاغتراب الثقافى لشبابها التى أضيفت إلى سلسلة الأزمات التى تعانها ويجسد هذه الأزمة حالة

الازدواجية فى الفكر والسلوك لدى الشباب العربى المسلم ، الذى أصبح عاجزا على الوصل بين العناصر القاعدية لثقافته بما تحويه من أبعاد معيارية ووظيفية تشكل عالم المفاهيم، وبين متغيرات الواقع الاجتماعى والثقافى فصارت الأجيال الجديدة تعاني أزمة حقيقية فى هويتها الثقافية.

1- مدخل مفاهيمى للاغتراب الثقافى:

1-1 مفهوم الثقافة:

بين مالك بن نبي أن الثقافة علاقة جدلية تنشأ من خلال التفاعل العملي بين الفرد و المجتمع فى جو ثقافى يمتص الفرد عناصره التى تشكل أسلوب حياة المجتمع فى أبعاده الثلاث (الجمالى، العملي، الفنى أو الصناعى) وبمظاهره المادية (روائح، أصوات، ألوان) والفكرية (اللغة ، القيم والمعايير، العادات والتقاليد) منذ مهده وتظهر من خلالها السمة الإنسانية للأفراد ، وهى تعبير عن التزام بين الفرد والمجتمع للحفاظ على استمرار الحياة الاجتماعية، وتوجد إمكانية التعايش والتواصل والتعاون بين المجتمعات المختلفة(مالك بن نبي، مشكلات الحضارة- مشكلة الثقافة ،2002م، ص،ص،90،115).

يرى فرانز بوا أن الثقافة هى أسلوب خاص و متميز فى الحياة يعبر عن نفسه من خلال اللسان والمعتقدات والعادات ليؤثر فى تشكيل الروح الخاصة للثقافة ويتجسد من خلال تصرفات الأفراد وسلوكياتهم ليؤكد الرابطة القوية بين الفرد وثقافته(دنيس كوش،2007م، ص41). يعرفها ادوارد تايلور فى كتابه الثقافة البدائية أنها:"ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التى يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو فى مجتمع" (حسين فهم،1986م، ص114).

2-1 مفهوم الاغتراب:

إيريك فروم:

يعرفه انه:"يتمثل فى شكل من الخبرة يمارسها الإنسان ويشعر فيها بأنه غريب عن ذاته ولا يجد نفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله وإنتاجه وإنما أفعاله هى التى تصبح لها السيادة وعليه أن يطيعها أو يعبدها أحيانا"(عبد اللطيف محمد خليفة،2003م، ص21).

كارل ماركس:

يشير مفهوم الاغتراب عند كارل ماركس إلى حالة من الشعور بفقدان قيمة الذات التى تعيشها طبقة البلوريتاريا داخل المجتمع الرأسمالى أين تكرر الطبقة المسيطرة كافة أنظمتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية من أجل الحفاظ على السلطة والقوة التى تقهر من خلالها

طبقة العمال، وتستند فى ذلك إلى امتلاك وسائل الإنتاج، الأمر الذى يجعل طبقة العمال وعائلاتهم يعيشون الاغتراب فى كافة مناحى الحياة" (وابل نعيمة، 2013م، ص 69).

مارتين:

"هو الشعور بالتفكك والشعور بالعزلة ورفض الانتماء واللامبالاة وفقدان المعنى والعجز واللامعيارية" (عبد اللطيف محمد خليفة، ص 21).

1-3 مفهوم الاغتراب الثقافى:

مالك بن نبي:

يرى أن الاغتراب الثقافى يعبر على أزمة ثقافية وهى حالة تعيشها حضارة ما فى مرحلة زمنية من تاريخها تعبر عن خلل على مستوى الالتزام القائم بين الفرد والمجتمع على أساس عقد الثقافة، حيث تغلب مصلحة طرف على آخر، يعيشها مجتمع ما وتؤثر على الحياة الاجتماعية فيكون فى شكل تكيف لا سوى للأفراد داخل المجتمع نتيجة حرمانهم من جو ثقافى سليم، ويظهر على المستوى الفردي فى شكل سلوكيات كالعزلة الاجتماعية والتفوق والهروب من المسؤولية، كما يظهر على مستوى المجتمع فى شكل عجز عن إنتاج الأفكار لمواجهة مشكلاته والعجز عن التعايش السوى مع باقى الثقافات" (مالك بن نبي، مشكلات الحضارة-مشكلة الثقافة، ص-ص 91-92).

يعرف الاغتراب الثقافى أيضا أنه انفصال الفرد عن النظام الاجتماعى، وأسلوب الحياة المتبع فى بيئته الثقافية نتيجة الاعتقاد بعدم جدواها فى تحقيق متطلباته، والاعتماد على مرجعية ثقافية تستند إلى ثقافة أخرى فى تسيير أمور حياته وتحديد اتجاهاته وتصورات له جوانب الحياة المختلفة، مما يسبب عجزه عن المشاركة الفعالة فى التصورات المستندة إلى الموروث السائد فى ثقافته، فتظهر عليه أعراض سلوك لا سوى كالانسحاب والعزلة الثقافية والعجز الثقافى و اللامعيارية (هدود حورية، 2012م، ص 44).

2-أبعاد الاغتراب الثقافى:

1-2 اللامعنى:

هو عجز الفرد عن الإدراك الواضح والفهم للمعايير الاجتماعية التى تكون غير منسجمة بين جانبها المفاهيمى المتضمن فى ما تعتقده الجماعة وبين واقع الممارسة الفعلية لها، فتعجز عن إقامة توقعات ثابتة لسلوك المرغوب، وتفقد معناها فى توجيه السلوك واتخاذ القرارات عند الفرد، يقول مزريخ عن هذا البعد: "اللامعنى توجد حينما يكون الفرد غير واضح بالنسبة لما يجب أن يعتقد فيه، وحينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح فى اتخاذ القرار غير متوفرة" (السيد على شتا، 1993م، ص 218).

2-2 اللامبالاة الثقافية :

هو حالة من تشوه إدراك القيمة الحقيقية للثقافة ودورها فى حياة الأفراد من حيث إعدادهم لأدوارهم ومراكزهم الاجتماعية (عمر كامل سقاوى، 1988م، ص-ص 81-82)، مما يترتب عنه ضعف المشاركة فى الأعمال الثقافية أو الإنتاج الثقافى داخل المجتمع.

3-2 التمركز حول الذات:

يقصد به انشغال الفرد بتحقيق أهداف فردية لا تراعى الجماعة التى ينتمى إليها، ما يؤدى إلى الابتعاد عن الواقع والشعور بالقلق وعدم التقبل من الآخرين. (فادية فتحى رمضان، 2001م، ص 26).

ويمكن تعريفه أنه إخفاق الفرد فى الشعور بالأهداف الاجتماعية القائمة على الأسس الثقافية المشتركة للجماعة وأهمية المساهمة فى تحقيقها نتيجة ضعف انتمائه إلى المجتمع، فى مقابل السعى لتحقيق أهداف شخصية بوسائل شخصية أو اجتماعية.

4-2 اللامعيارية:

يقصد به شعور الفرد بعدم تقبل قيم ومعايير السلوك السائدة فى مجتمعه، وسعيه إلى تحقيق أهدافه وغاياته الشخصية وفق وسائل مخالفة لثقافة الجماعة التى ينتمى إليها، يسميه إميل دوركايم الأنومى ويرى أنه حالة مؤقتة من الخروج عن المعايير المقبولة اجتماعياً تنتج عن التغير الثقافى المتسارع. (جاك هرمان، 2010م، ص 79).

وعرف سيمان هذا البعد أنه: "الحالة التى يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التى أصبحت مرفوضة اجتماعياً غدت مقبولة تجاه أى أهداف محددة، أى أن الأشياء لم يعد لها أى ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صواباً، وما كان صواباً أصبح ينظر إليه باعتباره خطأً من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحججها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع" (عبد اللطيف محمد خليفة، ص 38).

5-2 العزلة الثقافية:

يعنى انعزال الفرد عن القيم والمعايير والعادات والتقاليد، المعتقدات التى لها قيمة داخل المجتمع والإحساس تجاهها بالنفور والتقليل من قيمتها وأهميتها، واعتزال كل ما يمثلها من أقوال أو أفعال وحتى الأفراد الذين يتمثلونها فى سلوكياتهم داخل المجتمع وبالتالي يضعف التفاعل الاجتماعى وتغيب الثقة فى العلاقات الاجتماعية بالنسبة للفرد (خير الله عصار، 1984م، ص 108).

2-6 العجز الثقافى:

يعنى العجز شعور الفرد بغياب القدرة على التأثير فى مجريات الأحداث والتحكم فى أموره وان هناك قوة خارجية تحدد مصيره وتسيطر عليه كالحظ (تهانى محمد عثمان، 2007م، ص 14). يرى على حرب أن العجز الثقافى هو حالة من الضعف والعجز يصيب ثقافة مجتمع ما باعتبارها منبع المعنى ومصدر القوة، ويظهر فى المظاهر المتعلقة بالجانب الفكرى والمادى للثقافة مثل غياب القدرة على إنتاج الرموز واللغات والمعارف التى تشكل عالم الدلالة والأفكار وكذلك العجز على صوغ القواعد والمؤسسات التى تنظم العيش والتفاعل الاجتماعى والعجز على اختراع الوسائل والأدوات والوسائط التى تشكل الواقع الفعلى للتفاعل (على حرب، 2005م، ص 154). هو بذلك يمثل عجزا نفسيا وفكريا للمجتمع عن إنتاج الأفكار والمعاني التى توجه أفرادها نحو التخطيط لحياتهم وحل مشكلاتهم وفق أسس وقواعد ثقافة المجتمع، مما يؤدي إلى عجزهم على تسيير أمور حياتهم العملية والفكرية انطلاقا من الوسائل والأهداف المحددة فى الثقافة المشتركة للمجتمع، وشعورهم أن أفكار الثقافة الخارجية تسيطر على توجيه حياتهم.

2- أنواع الاغتراب الثقافى:

يمكن تصنيف أنواع الاغتراب الثقافى إلى تصنيفين:

3-1 من حيث درجة الشمولية:

3-1-1 اغتراب ثقافى جزئى (بسيط):

يعبر عن الحالة التى يكون الاغتراب الثقافى بسيطا ويمكن تداركه بتعديل بسيط فى طريقة النظر للأمور، خاصة إصلاح الجانب التربوى وهذا الوضع ما تكلم عنه مالك بن نبي فى وصفه للوضع الذى يفرض على الفرد تعلم ثقافة غير ثقافته، مثل أطفال المهاجرين الجزائريين بفرنسا سنة 1954م، الذين حرموا من أى معلومة عن تاريخ بلادهم، فلا يتلقون أى توجيه ثقافى يتلاءم مع عادات وتقاليدهم الوطن ولا أى شىء يربطهم بمصيرهم (مالك بن نبي، مشكلات الحضارة- بين الرشاد والتهيه-، 2002م، ص 58)، ومنه فالاغتراب الثقافى الجزئى يحدث على مستوى السلوك حين يتعلم الأفراد كيف يسلكون وفق معايير مخالفة للثقافة الأصلية للوطن حيث يفكك ذلك الالتزام القائم على قواعد الثقافة الأصلية بين الفرد والمجتمع، فتتغير سلوكيات الأفراد وتنتج سلوكيات تتعارض مع الثقافة الأصلية، فى حين تظل المفاهيم على حالها، ويمكن إذا لم يتدارك الوضع أن تنمو ظاهرة الاغتراب إلى أن تصل إلى مستوى الفكر أين تكون نقطة اللارجوع أى الاغتراب الكلى، وتعتبر درجة إخفاق المجتمع فى مواجهة مشكلاته بمختلف الميادين عن درجة أزمته الثقافية (مالك بن نبي، مشكلات الحضارة- بين الرشاد والتهيه-، ص، ص 92، 90).

2-1-3 اغتراب ثقافى كلى (معقد):

ويعبر عن الحالات الشاذة للاغتراب الثقافى حيث يكون تأثيره فى نفس وفكر وسلوك الفرد وبناء المجتمع عميقا ، بحيث يدرك فيها الفرد الموت الكلى لثقافة مجتمعه من حيث فاعليتها ووصولها إلى نقطة اللارجوع، فلا يعود يعبرها أهمية ويعزو فشله فى الحياة إلى التمسك بها، فلا ينفصل كليا عن ثقافته لأنه يعيش ضمنها ولا يتصل بالثقافة الأجنبية كليا، ويؤثر هذا الوضع سلبا على المجتمع ككل فتنعكس فيه الموازين ويعجز عن حل مشكلاته داخل حدوده وكذا يعجز عن التواصل مع الآخر خارج إطار العقد النفسى من نظرية المؤامرة إلى نظرية الانسلاخ عن الأصل وإهانة الكرامة، ويكون هذا الوضع نتيجة حرمان الفرد من جو ثقافى سليم داخل مجتمعه منذ البداية.

2-3 تصنيف على أساس طبيعة تأثيره:

1-2-3 اغتراب ثقافى ايجابى:

هو اغتراب الفرد عن الثقافة المريضة فى مجتمعه، ويظهر فى شكل نقد الفرد للأوضاع الاجتماعية التى تخرج عن الالتزام بعقد الثقافة ورفضه الانصياع إلى المعايير التى تفرضها ثقافة الواقع، ويمثل ذلك حسب مالك بن نبي فى ما يطلق عليه فى العصر الحديث اسم النقد ، وينتج هذا النوع عندما يفقد الفرد لأسباب سياسية مثلا حقه فى النقد للسلوكيات والأفكار التى تخرج عن التوجه الثقافى للمجتمع، فهو بذلك احد انماط استجابة الافراد لإعادة العقد الثقافى بين الافراد والمجتمع إلى وضعه السليم، ولا يقف الاغتراب الثقافى الايجابى عند حدود النقد بل يعمل على التغيير والتصحيح للوضع ما أمكنه " (مالك بن نبي، مشكلات الحضارة- مشكلة الثقافة-، ص-ص 90-94).

2-2-3 اغتراب ثقافى سلبى:

يتمثل فى استجابة سلبية من الفرد أو المجتمع تجاه الأزمة الثقافية والتفكك فى عقد الالتزام بين الفرد والمجتمع، ويظهر فى صورتين على المستوى الفردى فالحالة الأولى يكون الفرد رافضا للوضع لكنه يستسلم للواقع ولا يسعى للتغيير ويظهر عليه الانسحاب والتقوقع السلبى، أما الحالة الثانية ينفصل الفرد على ثقافة المجتمع ويتبنى ثقافة مضادة ، ويتمركز حول المصلحة الذاتية ويغيب عنده الشعور بالمسؤولية الاجتماعية تجاه الوضع المتأزم لأنه يفقد الانتماء النفسى للمجتمع وثقافته، أما المستوى المجتمعى فيظهر مثلا فى شكل تعمية على المشكلات القائمة من قبل السياسيين الذين يلجؤون إلى الانتهازية وإخفاء الواقع باسم الواقعية لمواجهة الأوضاع المتأزمة، أو إلى استيراد حلول جاهزة غير قادرة على مجابهة التحديات القائمة لتعارضها مع الثقافة السائدة.

3- أسباب الاغتراب الثقافى:

تتداخل فى ظاهرة الاغتراب الثقافى مجموعة من العوامل والمسببات سواء المتعلقة بالإطار الاجتماعى والثقافى للمجتمع أو العوامل المرتبطة بالجوانب النفسية لأفراد هذا المجتمع.

1-4 الأسباب النفسية:

تعد الدوافع النفسية و النفسية الاجتماعية من أهم موجبات السلوك الإنسانى ومحدداته حيث يسعى الفرد داخل المجتمع إلى تحقيق إشباع للعديد من الحاجات النفسية والاجتماعية كالحاجة إلى الأمن وتقدير الذات والانتماء وكذلك الحاجة إلى تحقيق الذات، ويرى العديد من علماء النفس أن عجز الفرد عن الوصول إلى إشباع حاجاته ودوافعه يؤدي به إلى عدم الوصول إلى مستوى مناسب من التوافق مع نفسه ومع الآخرين، كما أنه يدفع الفرد بشكل أو آخر إلى تبني بعض الأنماط السلوكية السيئة وغير المتكيفة والإصابة بالعديد من الأمراض النفسية والاجتماعية مثل الإدمان على المخدرات والعنف والتطرف وغيرها، كما أن الصراع بين الدوافع والرغبات المتعارضة والإحباط وما يرتبط بهما من الشعور بخيبة الأمل والفشل والعجز التام وتحقير الذات والحرمان وكذلك الخبرات الصادمة التي تعيق دافع تحقيق الذات عند الفرد تؤدي إلى مجموعة من الاحباطات الأخرى (" حرية هدهود، ص-ص 55-56)

بين بن صافى حبيب أن العنف سلوك يصل إليه الفرد بالتدرج من خلال إحباط دافع تحقيق الذات حيث ينتقل من مرحلة إلى أخرى فكلما زاد الإحباط فى شدته تظهر مرحلة من مراحل السلوك العنيف إلى أن تصل إلى العنف ويوضح ذلك من خلال المخطط التالى: (" بن صافى حبيب ، 2015م، ص-ص 244-245)



2-4 الأسباب الاجتماعية والثقافية:

1-2-4 الحروب والأزمات المختلفة:

الشعوب التى عانت من الاستعمار تعرضت إلى عملية محاولة مسح للهوية الثقافية من قبل المستعمر حيث هدف الاستعمار من خلال إيجاد أنماط معينة من التعليم والمناهج المقررة على أبناء الدول المستعمرة إلى إيجاد جيل ونخبة توالى الثقافة الغربية للاستعمار وتؤمن بها، فالاستعمار الفرنسى بالجزائر مثلاً عمل على طمس كل ما له علاقة بالتراث وكانت الشخصية الجزائرية تصور فى المقررات الدراسية على أنها ذليلة وتابعة، وتظهر المرأة فى صورة الخادمة والرجل فى صورة الراعى المسكين من أجل تلقين الفرد الجزائرى كيف يحتقر نفسه وثقافته وينفصل عنها" (محمد السويدى، د/س، ص 38) ، يقول أبو القاسم سعد الله: "إن المفردات والتعابير التى استعملها أصحاب الأقدام السوداء فى صحفهم ورواياتهم.... لوصف الإنسان الجزائرى هى مفردات وتعابير قد يتحرج بعض الجزائريين اليوم من نطقها أو حتى الهمس بها، ولكن أذان أهلهم وأمهاتهم وأخواتهم طالما سمعتها وتأذت منها" (أبو القاسم سعد الله، 1996م، ص 48)، كما أخذ الاستعمار الفرنسى من اللغة العربية والإسلام ذات الموقف العدائى ، ومنه فالاستعمار فى أى بلد حل به لم يركز على الهدف السياسى أو الاقتصادى فحسب وإنما تجاوز ذلك إلى الهدف الثقافى والفكرى."

(أبو القاسم سعد الله، ص، ص 25، 32)

يقول فرانز فانون: "مادام الوضع الاستعماري قائماً فإن الثقافة تنضب وتحتضر لأنها تكون محرومة من ركينتها الأمة والدولة، وعلى ذلك فإن التحرير الوطنى أو القومى أو انبعاث الدولة هو شرط وجود الثقافة" (جيوفرى نويل سميث، 1991م، ص 378).

2-2-4 اضطراب التنشئة الاجتماعية:

1-2-2-4 اضطراب التنشئة الأسرية:

يعد فشل التنشئة الاجتماعية للأسرة فى نقل الثقافة إلى الأفراد الجدد سبباً فى نهاية المجتمع وتحولته إلى مجتمع جديد من حيث ملامحه وخصائصه بحيث تتغير اللغة والدين والعادات والتقاليد وكل ما يميز مجتمع عن آخر (فؤاد البهى السيد، د/س، ص 197)، حيث أكد علماء الاجتماع أن الأسرة الريفية فى المجتمعات التقليدية السائرة نحو التحديث عندما هاجرت من الريف إلى المدينة طراً عليها العديد من التغيرات فى البناء ونظام السلطة والزواج والإنجاب والوظائف التقليدية لها كالتربية والدفء العاطفى ، كما تغيرت مفاهيم القرابة وتأثيرها فى الأنظمة الأخرى فمثلاً صار الفرد يصل إلى منصب العمل بكفاءته الخاصة وليس تبع للجنس أو القرابة مما زاد فى تهميش التواصل العائلى فى مقابل زيادة استقلالية الأسرة، فضعف الشعور بالانتماء وحلت مفاهيم العزلة الاجتماعية

كبدل فى العلاقات الاجتماعية للأسرة التى لم تعد علاقاتها حقيقية وإنما مرحلية كما انفصل الفرد عن الأسرة ولم يعد بحاجة إلى تدريبها له على العمل فقد حلت المدرسة والمصانع والورش محل الأسرة وهذا كله أوجد قطيعة بين الفرد والأسرة صاحبها قطيعة ثقافية بين الآباء الذين ظلوا محتفظين ببعض المفاهيم من ثقافتهم التقليدية عن الانتماء والتضامن واحترام الكبير باعتباره ممثلاً للسلطة التى يقوم نظامها على الولاء للقيم والمعايير والتقاليد والأبناء الذين ولدوا فى البيئة الحضرية وما تتسم به من طبيعة فردانية تعزل الفرد عن ماضيه وحاضره لتوجد له دائرة محددة يتحرك ضمنها ولا يتجاوزها بشكل شبه آلى يخلوا من العواطف والمشاعر الإنسانية والولاء صار لسلطة الاقتصاد والمادة أو المركز الاجتماعى (محمد السويدى، ص 89).

ويحدث فشل التنشئة الأسرية أيضاً نتيجة العديد من العوامل الأخرى مثل المستوى التعليمى للوالدين ، كما يمكن أن تتعلق بالمشاكل الأسرية أو بظروف طارئة مثل وفاة أحد الوالدين وعدم وجود بديل عاطفى بالنسبة للطفل، أو نتيجة أنماط من الأساليب التربوية غير السوية التى يتبعها الوالدان فمثلاً قد تلجأ الأسرة إلى التفرقة بين الأبناء فى المعاملة إما على أساس الجنس أو لجهنم أحد الأبناء أكثر من الأخر، كما أشار برتراند راسل إلى أن عدم إتباع أسلوب الحب والعطف فى ترسيخ القيم والمعايير فى سلوك الأبناء يضعف تأثير القيم والمعايير التى يدعوا لها الوالدان فى سلوك الأبناء فى المستقبل (مجتبى اللارى، 1992م، ص 105).

كما أشار إبراهيم خاطر إلى أن أساليب التنشئة الأسرية الخاطئة التى تقوم على أساس النمط الأوتوقراطى فى التربية من شأنها أن توجد أجيال منسحبة من الواقع الاجتماعى وعاجزة عن الفاعلية، ويعد الانسحاب من المشاركة فى الحياة السياسية مظهراً لفشل التنشئة الأسرية (إبراهيم خاطر 2014م، ص 45)

إضافة إلى ذلك تسبب خروج المرأة للعمل فى المجتمع الحديث بمشاكل عديدة فى الأسرة كان لها أثر كبير فى ظهور اللامعيارية ومظاهر الاغتراب الثقافى لدى الأجيال الجديدة ، حيث سببت ضعفاً فى أهم خصائص الأسرة التقليدية المتمثلة فى متانة روابطها وصارت الأجيال الجديدة حائرة داخل أسرة تؤمن بثقافة تدعوا للتضامن والولاء والطاعة للمعايير الاجتماعية المتمثلة فى الأكبر سناً فى العائلة من جهة، وتؤمن فى ذات الوقت بالحرية والمساواة فى السلطة والاشتراك فى وضع المعايير وأولوية الحياة الاقتصادية على العلاقات والروابط الأسرية (محمد السويدى، ص-ص 98، 90).

كما أكدت العديد من البحوث والدراسات ، فى علم النفس الأثر البالغ الذى يتركه انفصال الابن عن الأم فى سن مبكرة والذى يؤدي إلى ظهور سمات مرضية فى سلوكه مثل القلق والشعور بالغضب والاكتئاب وضعوبية تكوين علاقات مع الآخرين ، كما أن غياب الأم أو الأب يمكن أن يؤثر على تمكس

المعايير الاجتماعية عند الطفل وتكون الأنا والانا الأعلى لديه. (نبوية لطفى محمد عبد الله، 2000م، ص 57)

كما أكدت الدراسات النفسية كذلك أن العلاقات المتوترة بين الوالدين من شأنها أن توجد أجيالا عدوانية حيث أن الأطفال الذين يشعرون بغيات الأمان العاطفى من الحياة الأسرية وفي علاقاتهم مع والديهم يصبحون خائفين من الارتباط مع الآخرين بعلاقة تبعية كما أن الاضطراب فى العلاقة بين الوالدين والأبناء من شأنه أن يضعف احتمالية تقمص الأبناء لمعايير الوالدين وإضفاء الصبغة الذاتية عليها. (فرويد وآخرون، 1986م، ص 109)

4-2-2-2 الاتجاهات المتعارضة للمؤسسات التنشئة الاجتماعية:

يمكن أيضا أن تتبنى مؤسسات التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع اتجاهات إيديولوجية وفكرية متعارضة ولا يتم التنسيق فيما بينها من أجل إيجاد ثقافة مشتركة يتم تنشئة الأجيال الجديدة وفقها إلى حدوث الاغتراب الثقافى، فمثلا وجود مؤسسات التنشئة الدينية والمدارس الخاصة الأجنبية والمدارس العامة بما تتبناه كل منها من أهداف وما تبني عليه من إيديولوجيات يمكن أن توجد الإرباك داخل المجتمع وداخل ذات الفرد الذي يدفعه التعارض والتناقض بين معايير السلوك الواجب الالتزام بها والقيم التي يأخذها كأهداف إلى الانسحاب من المجتمع ومن الحياة الاجتماعية أو إتباع معايير مضادة للمجتمع بأكمله وتبني أهداف لا تخدم صالح المجتمع ولا تنتهي لثقافته فتضعف مقومات الثقافة المشتركة فى اتجاهات وتطلعات الأجيال فيصبح الفرد يعيش ضمن ثقافة لا ينتهي لها إلا جغرافيا (حامد عمار، د/س، ص 8)

كما يمكن أن تكون طبيعة المناهج التربوية مصدرا للاغتراب الثقافى فى بعد من أهم أبعاده وهو العجز الثقافى حينما لا ترتبط أهدافها بالوصل بين الفرد وواقعة الاجتماعى بل تتعلق بتلقينه مجموعة من المعارف والمعلومات التي لا يدري لها علاقة بواقعه المعاش، فالمناهج التي لا تقوم إلا على استظهار وتلقين مجموعة من المعلومات فإنها ستؤدي لا محال إلى اغتراب الفرد عن الدراسة والمدرسة وإلى انتاج عقول عاجزة عن التفكير بل أكثر من ذلك ترى فيه ترفا زائدا عن حاجاتها، فلا تعود تأثر فى توجيهه وتربيته التربوية السليمة، فالمدرسة باعتبارها المكان الذي يقضى فى الطفل جل وقته تعد مسؤولة بالدرجة الأولى عن الهوية الثقافية للمجتمع ومدى وضوحها فى أذهان الأجيال الجديدة. (زهير الحروب، 2014م، ص 205).

ويذهب زهير الحروب إلى أن مشكلة المناهج فى الدول العربية هي اعتمادها على طريقة الاستذكار التي لم تنتج طلبة عاجزين فحسب بل أنتجت معلمين عاجزين بالمثل عن القراءة ويهربون منها، فمعلم التوجيهي لا يحفظ إلا مادة التوجيهي ومعلم الصف العاشر لا يعرف أكثر من مستوى هذا الصف،

قد صار المتعلم لا يتعلم إلا القدر الذى يضمن له وظيفة يقتات منها. (زهير الحروب، ص-ص 205-207).

3-2-2-4 تدهور نظام القيم وصراع المرجعيات الثقافية:

يؤكد الجابري " أن الواقع الثقافى العربى صار يعانى ثنائية حادة بين ما هو عصري وما هو تقليدي على جميع مستويات الفكر والثقافة، ثنائية تزداد مع الأيام لتكسر في المجتمع العربى مشرقا ومغربا، انشطارا خطيرا وقطيعة فضة بين ما هو قديم تقليدي والجديد الحديث تحولت في بعض الأقطار العربية إلى حرب أهلية بين طرفين يرفع احدهم شعار (الأصالة) بينما يلوح الآخر براية (الحداثة)" لقد صارت فئة الشباب العربى تعانى من انفصام في ثقافتها وانتمائها ويجسد تلك التناقضات في سلوك الشباب وأفكاره، فالازدواجية في الثقافة أوجدت إرباكا في المرجعية التي يجب أن تقوم عليها الهوية الثقافية للفرد (ماجد الزبود، 2006م، ص-ص 106-107).

كما يمكن أن ينتج الاغتراب الثقافى من غياب التواصل بين العقل المثقف أو النخبة والجماهير العامة فقد ذهب برهان غليون إلى أن التواصل بين الجماهير العامة والنخبة المثقفة يمكن أن ينقطع لسببين أساسيين الأول يرتبط باغتراب وانفصال النخبة عن الثقافة السائدة في المجتمع والثاني عندما تنعدم وسائل التواصل نتيجة غياب حرية التعبير، ونتيجة لغياب التواصل هذا تبدأ النخبة المثقفة في الاغتراب عن حاجيات الثقافة التي ينتمون لها وتنكفئ على الثقافة التأملية، في حين تظهر ثقافة تأملية فردية عاجزة عن مواجهة التحديات والحاجات الثقافية للمجتمع عند الجماهير العامة. ويرى غليون أن من أهم أسباب الاغتراب الثقافى هو تدمير منظومة القيم والمعايير المشكلة للوحدة الاجتماعية والنتائج عن اتخاذ النخبة نماذج التوازن الغربية بديلا عن التوازن الثقافى للمجتمعات التقليدية القائم على التواصل بين العقل المثقف والجماهير وترسيخ المنظومة الثقافية التي تعزز الوحدة التي استبدلت بمنظومة جديدة في هرم السلطة وهي المنظومة الاقتصادية فجعلت المجتمعات العربية تصبح نسخة مشوهة للمجتمعات الغربية باتجاهاتها القيمية والمعارية، ومنه سبب الاغتراب الفكرى للنخبة اغترابا روحيا للجمهور. (برهان غليون 2014م، ص، ص 179، 281).

كما ذهب أبو القاسم حاج حمد إلى أن الندوات والمؤتمرات التي تدعو للصحة الإسلامية لا تمكن الشباب من توجيه العمل لأنها تقدم الدراسات والقراءات لا تنطلق من منطلق تأسيسى يهدف إلى الجمع بين الفكر والعمل ضمن إطار الاختلاف البناء لا يمكن أن توجد صحة إنما ستظل توجد شباب مغتربا وقوة تدمر ذاتها والآخرين (محمد أبو القاسم حاج حمد، 1997م، ص-ص 397-404).

اظافة الى أن عدم وضوح الرؤية عند النخبة وتمركزهم على الصراعات المذهبية توجد الاغتراب الثقافى عند الشاب، فالشباب الذى يشعر بمسؤولية صادقة تجاه الإسلام وانتمائه لا يجد عند

العقل المثقف التوجيه وإنما استغلاله فى مصالح إيدىولوجية أو سياسية أو غيرها من المصالح الفئوية) محمد أبو القاسم حاج حمد، ص-ص 397-400 .

4-2-2-4 البعد عن الدين والضعف الأخلاقى:

ويرى مالك بن نبي أن المسلم لم يتخلى قط عبر العصور عن عقيدته الإسلامية لكن الاغتراب الذى صار يعانى منه هو نتيجة الازدواجية فى الفكر التى جعلت الدين والقيم الدينية تفقد فاعليتها حينما انفصل الفرد عن روابطه الاجتماعية التى هى قوام الدين الإسلامى لصبح إسلامه فرديا مقتصرًا على طقوس يمارسها دون أن يعي بعدها الاجتماعى حيث غابت القيم الحضارية للإسلام تحت أثقال العادات والتقاليد البالية ثم جاءت القيم الفردية للحضارة الغربية لتقطع آخر صلة للمسلم بروح دينه وتجعل الأجيال الجديدة جسدا بلا روح بانفصاله عن الجماعة ، فالاغتراب الثقافى يحدث عندما تفقد القيم والمعايير بعدها التاريخى والاجتماعى فى نفس الفرد فينبذها. (مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامى ، 2002م، ص، ص 36، 56) .

3-4 سوء الأحوال الاقتصادية وتدنى مستوى المعيشة:

تكلم كارل ماركس عن اغتراب العامل عن منتوجه وعمله بسبب علاقات العمل الجائرة التى يفرضها أصحاب العمل فى النظام الرأسمالى والذى ينتقل فيما بعد ليشمل كافة نواحي الحياة الاجتماعية الأخرى الثقافية والفكرية والسياسية (سمير عبد الفتاح، 2006م، ص 47) ، فطبيعة النظام الاقتصادى الرأسمالى توجد طبقية فى المجتمع وفوارق اجتماعية كما توجد ثقافتين متميزتين فتضع وسائل وأهداف ومعايير لطبقة العمال تختلف عن تلك الوسائل والأهداف والمعايير التى تضعها للطبقة المالكة لرأس المال، وهذا ما يفقد أفراد الطبقة العاملة ارتباطها العضوى بالمجتمع الذى تنتهى له لما تلاحظه من التمييز فى الأهداف والوسائل والمعايير بشكل يكرس استغلالها ، فتظهر اللامعيارية كرد فعل متوقع للظروف البائسة التى توجدها ازدواجية المعايير فى المجتمع التى تسقط العديد من المحرومين والفقراء فى قسوة الهامشية (توفيق قمر وآخرون، 2008م، ص 57) .

ويشمل هذا السبب أيضا سوء الأوضاع الاقتصادية التى قد تدفع الفرد إلى البطالة والعيش على هامش المجتمع خاصة إذا كان المجتمع يقيم الفرد وفق معايير لا ترتبط بالخبرة أو درجة التأهيل بقدر ما تتعلق بالمحابة والعلاقات الشخصية يقول محمود عبد الفضيل: "عندما يجد هؤلاء الذين لا يعملون زملاءهم يعملون لا لسبب إلا أنهم يمثلون ما أطلق عليه البعض رأس المال الرمزي الممثل فى رأسمال اجتماعى أو ثقافى أو صلاتى التى تتيح للفرد أن يحصل على وظيفة معينة لا يستطيع غيره الوصول إليها فإن ذلك تكون انعكاساته على انتماءات الفرد وولائه". (طارق السيد، أنور

حافظ، 2009م، ص 42) ، فذلك من شأنه أن يوجد فردا ناقما على المجتمع ولا يقيم لمعاييره وزنا نتيجة الشعور بالظلم فيفقد الانتماء إلى المجتمع وثقافته ويمكن أن يتحول إلى عنصر هدم فيه.

خاتمة

الهوية الذاتية والحضارية الخاصة بكل أمة هي مفاهيم قائمة على أساس قانون الاختلاف الذي يشير إلى أن لكل حضارة عناصر قاعدية ثابتة وعناصر أخرى مرنة تسمح لها بالتفاعل الإيجابي مع غيرها من الحضارات، انطلاقا من تصوراتها الفكرية والعملية، أما ظاهرة الاغتراب الثقافى فلم تكن نتيجة للاعتراف باختلاف العناصر القاعدية التي تقوم عليها الحضارات، إنما هي أزمة الإنسان الذي استبدل التفاعل من أجل المعرفة بالسعي وراء الهيمنة والسلطة والملك، غير أن هذه الظاهرة وأن كان لها جانبا سلبيا في تداعياتها ومظاهرها فإنها من ناحية أخرى تؤكد قانون الاختلاف والخصوصية سواء بين الإنسان والطبيعة أو بين الحضارات.

قائمة المراجع:

أ_الكتب بالعربية

1. إبراهيم خاطر (2014م) ، الشباب ودورهم في التغيير والإصلاح، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
2. أبو القاسم سعد الله(1996م) ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان.
3. السيد على شتا(1993م) ، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، مصر.
4. برهان غليون(1986م) ، مجتمع النخبة، ط1، معهد الإنماء العربى، بيروت، لبنان.
5. تهاني محمد عثمان منيب(2007م) ، عزة محمد سليمان، العنف لدى الشباب الجامعى، مركز الدراسات والبحوث- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية-، الرياض، السعودية.
6. توفيق قمر وآخرون(2008م) ، المشكلات الاجتماعية المعاصرة- مداخل نظرية، تجارب عربية، أساليب المواجهة-، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن.
7. جاك هارمان(2010م) ، خطابات في علم الاجتماع- في النظرية الاجتماعية-، ت/العياشى عنصر، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
8. جيوفري نويل سميث، كينتين هور(1991م) ، غراميشي وقضايا المجتمع المدني، ت/ فاضل جتكر، ط1، دار كنعان للدراسات و النشر، سوريا.

9. حامد عمار(د/س) ، دراسات فى التربية والثقافة- من همومنا التربوية والثقافية-، مكتبة الدار العربية للكتاب، د/ب .
10. حسين فهميم (فبراير 1986م) ، قصة الأنثروبولوجيا- فصول فى تاريخ علم الإنسان-، سلسلة عالم المعرفة رقم: 98، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والآداب، والفنون، الكويت.
11. خير الله عصار(1984م) ، مبادئ علم النفس الاجتماعى، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر
12. دنيس كوش(2007م) ، مفهوم الثقافة فى العلوم الاجتماعية، ت/منير السعيدانى، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
13. زهير الحروب(2014م) ، ثقافتنا التربوية- بين التخلف والتغريب والعولمة-، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، نبلاء ناشرون وموزعون، الأردن.
14. سمير عبد الفتاح(2006م) ، مبادئ علم الاجتماع، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، دار المشرق الثقافى، عمان.
15. طارق السيد ، أنوار حافظ(2009م) ، المشكلات الاجتماعية فى المجتمع المعاصر-مشكلات الإسكان، تلوث البيئة، التطرف، الإدمان، البطالة، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر.
16. عبد اللطيف محمد خليفة(2003م) ، دراسات فى سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
17. عمر كامل سقاوي(1988م) ، وحدة الحضارة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا
18. علي حرب(2005م) ، أزمة الحدائثة الفائقة- الإصلاح، الإرهاب، الشراكة - ، ط1، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب.
19. فؤاد البيى السيد(د/س) ، علم النفس الاجتماعى ، دار الكتاب الحديث، الكويت.
20. ماجد الزبود(2006م) ، الشباب والقيم فى عالم متغير، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
21. مالك بن نبي(2002م) ، مشكلات الحضارة- بين الرشاد والتيه-، ط1، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت.لبنان.
22. مالك بن نبي(2002م) ، مشكلات الحضارة- مشكلة الثقافة -، ت/ عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، سوريا .

23. مالك بن نبي(2002م) ، وجهة العالم الإسلامى، ت/عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق.سوريا.
24. مالك بن نبي(1997م) ، مشكلة تبسيط الأفكار فى العالم الإسلامى، ت/محمد عبد العظيم علي، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر.
25. مجتبى اللارى(1992م) ، دراسة فى المشاكل النفسية والأخلاقية، ط1، دار الصفوة، بيروت.لبنان
26. محمد أبو القاسم حاج حمد(1997م) ، العالمية الإسلامىة الثانية- جدلية الغيب و الإنسان والطبيعة-،مج2 ، ط2، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان.
27. محمد السويدى(د/س) ، مقدمة فى دراسة المجتمع الجزائرى _ تحليلى سوسىولوجى لأهم مظاهر التغير فى المجتمع الجزائرى المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون.الجزائر
28. وابل نعيمة(2013م) ، الاغتراب عند كارل ماركس- دراسة تحليلية نقدية-، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.
29. بن صافى حبيب(2015م) ، العنف وعلاقته بالفرد والمجتمع، مجلة الحوار الثقافى، عدد ربيع وصيف ، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافى وفلسفة السلم بجامعة مستغانم، الجزائر.
30. حورية هدهود(2012م) ، الاغتراب النفسى و علاقته بالتوافق النفسى الاجتماعى لدى المراهق الجانح، إ/ عمر عمور، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس، فرع علم النفس الجنائى، جامعة المسيلة، الجزائر غير منشورة.
31. فادية فتحى رمضان(2001م) ، دراسة مقارنة لبعض متغيرات الشخصية لدى عينة من طلاب الدراسات العليا فى التربية المتقدمين والمتعثرين-، إ/ جابر عبد الحميد جابر، رسالة مقدمة على درجة الماجستير فى التربية تخصص إرشاد نفسى، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، مصر، غير منشورة .
32. نبوية لطفي محمد عبد الله(2000م) ، مفهوم الذات لدى الأطفال المحرومين من الأم- دراسة مقارنة -، إ/فؤاد محمد علي هدية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى دراسات الطفولة ضمن الدراسات النفسية الاجتماعية، جامعة عين شمس ، مصر ، غير منشورة .
ر المسيرة.